بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة الجمعة 9-10-2009 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

((المسجد الأقصى))

الحمد لله ثم الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له،وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ خير نبيٍّ اجتباه؛ وهدىً ورحمة للعالمين أرسله،أرسله ربنا بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون.

اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد..

فيا عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى،وأحثكم وإياي على الطاعة، فإننا بطاعة الله ننجو، وإننا بمعصيته ننال غير حال النجاة، وإننا ذاهبون، والأمر قريب، وكل ما هو آت آت.

فقدموا لأنفسكم إنه من ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8) ﴾ [الزلزلة]

ثم أستفتح بالذي هو خير:

يقول الله تبارك وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: 1].

وقال ربنا عن سيدنا إبراهيم وهجرته إلى بيت المقدس وبلاد الشام: ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: 71].

وقال جل من قائل: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: 114].

نحن في الخطبة الثانية من سلسلة (أسواقنا التجارية).

ولكني وبسبب محاولة الصهاينة تدنيس المسجد الأقصى مرة بعد مرة، ومحاولات إغلاقه وصرف المصلين عنه، وبل ومحاولات متكررة للتنقيب المزعوم تحته في خطوة نحو هدمه سأجعل عنوان خطبة اليوم:

(المسجد الأقصى)

اسمه: المسجد الأقصى، أي الأبعد عن مسجد مكة والمدينة، هي مساجد ثلاثة مقدسة في الإسلام:(المسجد الحرام، ومسجد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى).

أبعدها هو المسجد الأقصى، لذلك سمي المسجد الأقصى.

واسمه: المسجد المقدس، أي المطهر، أو (بيت المقدس) لأن من جاءه تطهر من ذنوبه وتقدس، أو (القدس): أي الطهر والتزكية.

صلى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر شهراً أو يزيد، فكان القبلة الأولى للمسلمين، سرى له النبي صلى الله عليه وسلم ليلاً من المسجد الحرام.

هو مجتمع الأنبياء إذ فيه اجتمع النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء وصلى إماماً.

اجتمع فيه صحابة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفيه جلس أهل الحديث يحدّثون بحديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وكان المسلمون ينذرون الاعتكاف به والصلاة فيه.

وهو مجتمع المسلمين قبل يوم القيامة.

ورد ذكره في أحاديث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أكثر من مائة موضع.

وسأقرأ عليكم بعضاً من هذه الأحاديث:

روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال:**إن امرأة اشتكت شكوى فقالت: إن شفاني الله لأخرجن فلأصلين في بيت المقدس.**

كانوا ينذرون إذا عافاهم الله سيصلون في ذلك المكان. فبرئت ثم تجهزت تريد الخروج، فجاءت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تسلم عليها.

وروى النسائي عن عبد الله بن عمر: أن سليمان بن داود عليه السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل ثلاثة:

. سأل الله عز وجل حكماً يصادف حكمه، فأوتيه.

. وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأوتيه.

. وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد (المسجد الأقصى) أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا لصلاة فيه أن يخرجه الله من خطيئته كيوم ولدته أمه.

ولأجل هذا الحديث كان سيدنا عبد الله ابن عمر يأتي من الحجاز فيدخل المسجد الأقصى فيصلي فيه، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماءً مبالغة منه لتمحيص نية الصلاة دون غيرها، لتصيبه دعوة سيدنا سليمان.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم:((لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد:المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد بيت المقدس)).[الترمذي وأبوداود والنسائي] إذا أردت أن تسافر بحثاً عن مسجد تصلي فيه لا يجوز لك أن تسافر بقصد صلاة في مسجد إلا فيهذه المساجد الثلاثة.

وفي رواية:((لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد)). [البخاري ومسلم]

وروى أبو داود عن ميمونة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟فقال:((ائتوا فصلوا فيه، فإن لم تأتوه فتصلوا فيه، فابعثوا بزيت يسرج في قناديله)).

وفي رواية ابن ماجه: قالت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس؟

فقال:((أرض المنشر والمحشر،ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره)).قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال:((فتهدي إليه زيتاً يسرج فيه،

فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه)).

وروى ابن ماجه عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((من أهل بعمرة من بيت المقدس، غفر له)).

وفي رواية:((كانت له كفارة لما قبلها من الذنوب)) قال فخرجت من بيت المقدس بعمرة.

وروى الإمام أحمد عن ذي الأصابع وهو صحابي تميمي خزاعي قال: يا رسول الله إن ابتلينا بعدك بالبقاء أين تأمرنا؟

قال:((عليك ببيت المقدس فلعله أن يُنسأ لك ذرية يغدون إلى ذلك المسجد ويروحون)).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟

قال:((المسجد الحرام)).قلت: ثم أي؟ قال:((المسجد الأقصى)) أي: بيت المقدس.قلت: كم بينهما؟قال:((أربعون سنة)). [البخاري ومسلم]

وروى الإمام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:((لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ قَاهِرِينَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلاَّ مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لأْوَاءَ–شدة وألم– حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قال:((بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ)).

وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:((لا تزال عصابة من أمتي يُقاتلون على أبواب دمشق، وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة)) [أبو يعلى]

أيها الإخوة..

لهذه الآيات، ولهذه الأحاديث، ولهذه المكانة والمنزلة والفضيلة،ولغيرها من الأمور، هرع المسلمون ولأكثر من مرة، عبر تاريخنا الإسلامي، يذودون عن المسجد الأقصى،

وعن بيت المقدس، يطهرونه من عبدة الأوثان، والصلبان، حتى قال شاعرهم:

المسجد الأقصى له عادة

سارت لدى الناس مثلاً سائرة

إذا صار للكفر مستوطنا

أن يرسل الله له ناصرا

ففي سنة خمس عشرة للهجرة، هب المسلمون لفتحه وتخليصه من أيدي الرومان، بعد أن جعلوا الصخرة التي منها انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معراجه جعلوها مزبلة، حتى إن المرأة فيهم كانت ترسل خرقة حيضتها لتُلقى فيه.

فكان قائد الجيش الإسلامي أبو عبيدة بن الجراح، وبعد قتال أربعة أيام وحصار أربعة أشهر، وافق أهلها على الصلح بشرط أن يسلموا المدينة للخليفة عمر بن الخطاب، فأرسل أبو عبيدة إلى الخليفة عمر طلب أهل القدس، فخرج عمر إليها.

ودخل عمر بعد أن استلم مفاتحها دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، ويقال: إنه لبى حين دخل بيت المسجد.

فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود.

وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة، وقرأ في الركعة الأولى سورة (ص) وفي الثانية بسورة بني إسرائيل (الإسراء).

هذه هي سيرة المسلم، إذا أجرى الله على يده فتحاً ونصراً وفوزاً فهو يقابل ذلك بشكر الله والتزام فرائضه، لا بمعصية الله تعالى.

وتمر الأيام، وتضعف الخلافة العباسية، وتأتي الجيوش الصليبية لتحتل بيت المقدس، ويعقد البابا اجتماعاً يضم ثلاثين ألف رجل دين، يحرضهم على المسلمين، فيجمعون جيشاً قوامه ثلاثمائة ألف مقاتل، لتبدأ حملاتهم الصليبية على ديار المسلمين سنة 1099 للميلاد، ويتبعون وهم في سيرهم إلى البيت المقدس سياسة الأرض المحروقة.

فلا يمرون على أرض إلا أحرقوا ما فيها من أخضر ويابس، ويصلون القدس، ويحاصرونها أربعين يوماً ثم يدخلون الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة الثالث

والعشرين من شعبان، سنة 1099 للميلاد وعاثوا فيها فساداً يدمرون وينهبون ويقتلون.

قال ابن الأثير في كتابه الكامل للتاريخ يصف مذبحة القدس:

(وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً، منهم جماعة كبيرة من أئمة المسلمين، وعلماؤهم وعبادهم، ممن فارق الأوطان، وجاور بذلك الموضع الشريف، وأخذوا من عند الصخرة، نيفاً وأربعين قنديلاً من الفضة، ثمن كل قنديل: ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وغير ذلك كثير).

ويصف: غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) دخول الصليبيين القدس فيقول:

وكان سلوك الصليبيين حين دخلوا القدس غير سلوك الخليفة الكريم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحدث ما هو عجيب بين العرب، فقد قطعت رسول البعض، وبقرت بطون البعض، حتى اضطر قسم منهم إلى الفرار قفزاً من على الأسوار، وحرق بعضهم بالنار، وكان لا يرى في شوارع القدس وميادينها سوى أكداس من رؤوس المسلمين وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا على جثث قتلاهم، ولكن هذا لم يكن سوى بعض ما نالوا).

وهكذا وبعد احتلال الصليبيين للقدس، وفي سنة 1187 للميلاد، جاء صلاح الدين الأيوبي وحارب الصليبيين في عدد من المعارك أهمها حطين، انتصر فيها عليهم، وسيطر على كل فلسطين، ثم مضى إلى القدس فحاصرها خمسة أيام، فما كان منهم إلا أن سلموه إياها وطلبوا الأمان فأمنهم، ولم يقتل واحداً من الذين أخذوا الأمان منه، وسلمت له المدينة في اليوم السابع والعشرين من رجب في السنة 583 للهجرة، فرح المسلمون فرحاً شديداً، واجتمع لذلك العلماء والصالحون وعباد الله المؤمنين، ونظفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصلبان والرهبان والخنازير.

قال صاحب كتاب الروضتين في أخبار الدولتين يصف صلاح الدين وهو ينقل الحجارة بنفسه لعمارة سور القدس فيقول:

(ولو رأيته وهو يحمل حجراً في حجره لعلمت أن له قلباً قد حمل جبلاً في فكره، وأقيمت في المسجد الأقصى، صلاة الجمعة، وامتلأ الجامع، وسالت لرقة القلوب المدامع، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال، كادت القلوب تطير من الفرح، من ذلك الحال).

وهكذا المسلمون إذا أجرى الله على يديهم فتحاً ونصراً فإنهم يستقبل ذلك النصر برضاء الله تعالى وببذل ما يستطيعون لخدمة دينه.

واليوم أيها الإخوة وبعد أن احتلت بريطانيا وأشياعها القدس سنة 1917 بقيادة اللمبي، وعند دخوله القدس، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين، وبقيت فيها بريطانيا حتى عام 1984 وأعلنت قيام دولة إسرائيل في تلك السنة.

واستكملوا احتلالهم لفلسطين والقدس في عام 1967 حيث حطموا ودمروا حي المغاربة، ومازالت محتلة تنتظر ناصراً حتى اليوم.

وإن عدونا الإسرائيلي أقام كيانه على أساس عنصري ديني، ويريد في حربه معنا أن نقصي ديننا عن المعركة.

نشرت صحيفة (إيديعوت احرانوت) الإسرائيلية العنصرية في العدد 11-3-1987 تقول:

(إن على وسائل إعلامنا) أي اليهودية الصهيونية (أن لا تنسى حقيقة مهمة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب طوال ثلاثين عاماً، ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن تلك المعركة).

وقبلها قال بن غوريون:(نحن نخشى الإسلام هذا المارد الذي نام طويلاً وبدأ يتململ).

فيا أيها الإخوة:

عدونا يريد إبعادنا عن ديننا وإبعاد ديننا عنا وعن معركتنا، والرد يكون: بزيادة تمسكنا بديننا، لأن أدخلت الدين إلى بيتك، وإن أدخلته إلى معملك، وإن أدخلته إلى علاقاتك التجارية وسائر شؤون حياتك، تكون أنت تستعد وتعد أولادك للقاء هؤلاء الأعداء.

ولئن تبرأت من دينك في البيت، ولئن تبرأتُ من ديني في سوقي التجاري، فنحن نقدم لأعداء المسلمين أكبر خدمة يطمحون إليها.

عدونا يريد حصار مساجدنا، يريد إغلاقها، يريد منع المصلين من دخولها، يريد هدمها، يريد أن لا يدخلها إليها أحد من المسلمين.

والرد يكون: بدعمنا لمساجدنا، وبدعمنا لمقدساتنا وبدفاعنا عنها وزيادة مسكنا بها، ولئن نصرنا دين الله فإن الله سينصرنا، ولئن أعلينا كلمة الله فإن الله تعالى سيعلي كلمتنا.

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: 40].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فيا فوز المستغفرين.